عرْضُ نفسِه ﷺ على القبائِل

قال إسرائيل، عن عثمان بن المغيرة، عن سالم بن أبي الجعد، عن جابر، قال: كان رسول الله ﷺ يعرض نفسَه على النّاس بالموقف فيقول: «هل من رجلٍ يحملني إلى قومه، فإنَّ قريشاً قد منعوني أنْ أُبلِّغَ كلامَ ربّي». أخرجه أبو داود[1]، عن محمد بن كثير، عن إسرائيل، وهو على شرط البخاري.

وقال موسى بن عُقْبة، عن ابن شهاب، قال: كان رسول الله ﷺ في تلك السنين يعرض نفسه على قبائل العرب في كلّ موسم، ويكلّم كلَّ شريفِ قومٍ، لا يسألهم مع ذلك إلاّ أنْ يُؤْوُوه ويمنعوه، ويقول: لا أُكْرِه أحداً منكم على شيء، مَن رضي منكم بالذي أدعوه إليه فَذاك، ومَن كَرِه لم أُكْرِهْهُ، إنّما أريد أن تحرزوني ممّا يُرادُ بي من الفتك، حتى أُبلِّغَ رسالاتِ ربّي، وحتّى يقضي الله لي ولمن صَحِبَني بما شاء. فلم يقبله أحد ويقولون: قومُهُ أعلمُ به، أتَرَوْن أنّ رجلاً يُصْلِحُنا وقد أفسد قومَه، ولَفَظُوه، فكان ذلك ممّا ذخرَ اللهُ للأنصار.

وتُوُفّي أبو طالب، وابتُلِيَ رسولُ الله ﷺ أشدَّ ما كان، فعمد لثقيف بالطّائف، رجاء أنْ يُؤْوُوه، فوجد ثلاثةَ نفرٍ منهم، هم سادةُ ثقيف: عبد ياليل، وحبيب، ومسعود بنو عَمْرو، فعرض عليهم نفسه، وشكا إليهم البلاءَ، وما انتهك منه قومُه. فقال أحدهم: أنا أسرِق أستارَ الكعبة إنْ كان الله بعثكَ قطُّ. وقال الآخر: أَعَجز على الله أن يرسل غيرك. وقال الآخر: والله لا أكلّمك بعد مجلسك هذا، والله لئنْ كنتَ رسول الله

(١) أبو داود (٤٧٣٤).

لأنتَ أعظم شَرَفاً وحقّاً من أن أكلِّمكَ، ولئنْ كنتَ تكذِب على الله، لأنتَ أشرُّ من أنْ أكلِّمكَ. وَتَهَزَّؤُوا به، وأفشوا في قومهم الذي راجعوه به، وقعدوا له صَفَّين على طريقه، فلمّا مرَّ جعلوا لا يرفع رِجْليه ولا يضعهما إلاّ رضخوهما بالحجارة، ودَمَّوا رِجْلَيْه، فخلُص منهم وهما تسيلان الدماء، فعمد إلى حائطٍ من حوائطهم، واستظل في ظلّ سَمُرَة حَبَلة منه، وهو مكروب مُوجَع، فإذا في الحائط عُتْبة بن ربيعة، وشَيْبة أخوه، فلمّا رآهما كرِه مكانهما لِما يعلم من عداوتهما، فلمّا رأياه أرسلا إليه غلاماً لهما يُدْعَى عدَّاساً، وهو نَصْرانيٌّ من أهل نينَوَى، معه عِنَب، فلمّا جاء عدَّاس، قال له رسول الله ﷺ: «من أيّ أرضٍ أنت يا عدّاس»؟ قال: من أهل نينَوَى، فقال له النبي ﷺ: «من مدينة الرجل الصّالح يونس بن متَّى»؟ فقال: وما يدريك من يونس بن متَّى؟ قال: «أنا رسول الله، والله أخبرني خبرَ يونس». فلمّا أخبره خرَّ عدّاس ساجداً لرسول الله ﷺ، وجعل يقبّل قدميه وهما تسيلان الدّماء، فلمّا أبصر عُتبة، وشَيْبة ما يصنع غلامهما سكتا، فلمّا أتاهما قالا: ما شأنك سجدت لمحمدٍ وقبَّلْت قدميه؟ قال: هذا رجل صالح، أخبرني بشيءٍ عرفته من شأن رسولٍ بعثه الله إلينا يُدْعى يونس بن متَّى، فضحكا به، وقالا: لايفتنك عن نصرانيّتك، فإنّه رجل خدّاع. فرجع رسول الله ﷺ إلى مكة.

وقال يونس بن يزيد، عن الزُّهْري: أخبرني عُرْوة، أنّ عائشة حدّثته، أنّها قالت لرسول الله ﷺ: هل أتى عليك يومٌ أشدّ عليك من يوم أُحُد؟ قال: «ما لقيتُ من قومِك كان أشدّ منه، يوم العَقَبَة إذ عرضْتُ نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كُلال، فلم يُجبني إلى ما أردتُ، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي، فلم أستفِقْ إلاّ وأنا بقَرْن الثعالب[1]، فرفعتُ رأسي، فإذا أنا بسحابةٍ قد أظلّتني، فنظرت فإذا هو جبريل،

(١) موضع قرب مكة.

فناداني «إنّ الله قد سمع قولَ قومِكَ لكَ وما رَدُّوا عليكَ، وقد بعثَ إليك مَلكَ الجبالِ لتأمره بما شئتَ فيهم». ثمّ ناداني ملك الجبال فسلَّم عليَّ، ثمّ قال: يا محمد إنَّ الله قد سمع قولَ قومِكَ، وأنا ملكُ الجبال، قد بعثني إليك ربُّكَ لتأمرني بما شئتَ، إن شئتَ يُطْبِقْ عليهم الأخشَبَين[1]. فقال له رسول الله ﷺ: بل أرجو أن يُخْرِج الله من أسرارهم ـ أو قال: من أصلابهم ـ مَنْ يعبد الله لا يُشْرك به شيئاً. أخرجاه[2].

وقال البكّائي، عن ابن إسحاق[3]: فحدثني يزيد بن زياد، عن محمد بن كعب القُرَظيّ قال: لمّا انتهى رسول الله ﷺ إلى الطّائف، عمد إلى نفرٍ من ثقيف، وهم يومئذٍ سادتهم، وهم إخوة ثلاثة: عبد ياليل بن عَمْرو، وأَخَواه مسعود، وحبيب، وعند أحدهم امرأةٌ من قريش من جُمَح، فجلس إليهم ودعاهم إلى الله، فقال أحدهم: هو يمرط ثياب الكعبة إن كان الله أرسلك، وقال الآخر: أَمَا وجد الله مَن يرسله غيرك؟ وقال الآخر: والله لا أكلّمك.

وذكره كما في حديث ابن شهاب، وفيه زيادة وهي: فلمّا اطمأنّ ﷺ قال فيما ذُكِرَ لي: «اللّهم إليك أشكو ضَعْفَ قوّتي وقلّةَ حيلتي وهَوَاني على النّاس، أرحمَ الراحمين، أنت ربّ المُسْتَضْعَفِين وأنت ربّي، إلى مَن تكِلُني، إلى بعيدٍ يتجهّمُني، أو إلى عدوٍّ ملَّكْتَه أمري، إنْ لم يكن بك عليَّ غضَبٌ فلا أُبالي، ولكنَّ عافيتَك هي أوسع لي، أعوذ بنور وجهك الكريم الذي أشرقَتْ له الظُّلُمات، وصَلُحَ عليه أمرُ الدّنيا والآخرة من أن ينزل بي غضبُك أو يحلَّ عليَّ سخطُك، لك العُتْبَى حتّى

---

(١) أي: جبلي مكة، وهما: أبو قبيس والأحمر.
(٢) البخاري ٤/ ١٣٩و ١٤٤، ومسلم ٥/ ١٨١.
(٣) ابن هشام ١/ ٤١٩-٤٢٠.

ترضَى ولا حول ولا قوّة إلاّ بك».

وحدثني حسين بن عبدالله بن عُبَيْدالله بن عباس، قال: سمعتُ ربيعة بن عِبَاد[1] يحدث أبي، قال[2]: إنّي لَغُلامٌ شابٌّ مع أبي بمِنَى، ورسول الله ﷺ يقفُ على القبائلِ من العرب، يقول: يا بني فُلان إنّي رسولُ الله إليكم، يأمركم أنْ تعبدوه لا تُشْرِكوا به شيئاً، وأن تخلعوا ما تعبدون من دونه، وأن تؤمنوا وتصدّقوني وتمنعوني حتى أُبيِّنَ عن الله ما بعثني به. قال: وخلفه رجلٌ أحْوَل وَضِيء، له غديرتان، عليه حلّة عَدَنيّة، فإذا فرغ رسول الله ﷺ من قوله قال: يا بني فُلان إنّ هذا إنّما يدعوكم إلى أنْ تسلخوا اللاّت والعُزَّى وحُلَفاءكم من الحيّ من بني مالك بن أُقَيش، إلى ما جاء به من البدعة والضَّلالة، فلا تُطيعوه ولا تسمعوا منه. فقلت لأبي: مَن هذا؟ قال: هذا عمّه عبدالعُزَّى أبو لَهَب.

وحدّثني ابن شهاب أنّه ﷺ أتى كِنْدَةَ في منازلهم، وفيهم سيّد لهم يقال له مُلَيْح، فدعاهم إلى الله، وعرض عليهم نفسه، فأبوا عليه[3].

وحدثني محمد بن عبدالرحمن بن عبدالله بن حُصَين، أنّه أتى كلباً في منازلهم، إلى بطنٍ منهم يقال له بنو عبدالله، فدعاهم إلى الله وعرض عليهم نفسه، حتى إنّه ليقول: يا بني عبدالله إنّ الله قد أحسن اسمَ أبيكم، فدعاهم إلى الله فلم يقبلوا[4].

وحدثني بعض أصحابنا أنّه أتى بني حَنِيفة في منازلهم، ودعاهم إلى الله، وعرض عليهم نفسه، فلم يكن أحدٌ من العرب أقبح ردّاً منهم[5].

---

(١) قيده المؤلف في المشتبه ٤٢٩.
(٢) ابن هشام ١/ ٤٢٣.
(٣) ابن هشام ١/ ٤٢٤-٤٢٥.
(٤) ابن هشام ١/ ٤٢٤-٤٢٥.
(٥) ابن هشام ١/ ٤٢٤-٤٢٥.

وحدثني الزُّهرِيّ أنّه أتى بني عامر بن صَعْصَعَة فدعاهم إلى الله، وعرض عليهم نفسه، فقال رجل منهم يقال له بيحرة بن فِراس: والله لو أنّي أخذت هذا الفتى من قريش لأكلت به العرب، ثم قال له: أرأيت إنْ بايعناك على أمرك، ثم أظهرك الله على مَن خالفك، أيكون لنا الأمرُ من بعدك؟ قال: «الأمرُ إلى الله يضعه حيث يشاء»، قال: أَفَنَهْدِفُ نحورَنا للعربِ دونك؟ فإذا أظهرك الله كان الأمر لغيرنا، لا حاجة لنا بأمرك، فأبَوْا عليه[1].

وقال يونس بن بُكَير، عن ابن إسحاق: حدثني عاصم بن عمرو بن قَتَادَة، عن أشياخ من قومه، قالوا: قدِم سُوَيْد بن الصّامت أخو بني عَمْرو بن عَوْف مكةَ حاجّاً أو مُعْتَمِراً، وكان سُوَيْد يسمّيه قومُه فيهم (الكامل) لِسِنّه وجَلدِه وشِعْره، فتصدّى له رسول الله ﷺ ودعاه إلى الله، فقال سُوَيْد: فلعلّ الذي معك مثل الذي معي. فقال له رسول الله ﷺ: «وما الذي معك»؟ قال: مجلّة لُقْمان، يعني: حكمة لُقمان، قال: اعرضْها، فعرضها عليه، فقال: «إنَّ هذا الكلام حَسَن، والذي معي أفضل منه، قرآنٌ أنزله الله عليَّ»، فتلا عليه القرآن، ودَعاهُ إلى الإسلام، فلم يبعد منه، وقال: إنّ هذا لقَول حَسَن. ثم انصرف فقدِم المدينةَ على قومها، فلم يلبث أنْ قتلته الخَزْرج، فكان رجالٌ من قومه يقولون: إنّا لَنَرى أنّه قُتِل وهو مسلمٌ، وكان قَتْلهُ يوم بُعاث.

وقال البكّائي، عن ابن إسحاق[2]، قال: وسُوَيْد الذي يقول:

ألا رُبَّ مَنْ تدعو صديقاً ولو ترى ... مقالته بالغيبِ ساءكَ ما يَفْري
مقالتهُ كالشَّهْد ما كانَ شاهداً ... وبالغيبِ مأثورٌ على ثُغْرَةِ النَّحْرِ
يَسُرُّكَ بـاديـهِ وتحـت أديمـهِ ... تميمة غشّ تبتري عَقِبَ الظَّهرِ

(١) ابن هشام ١/ ٤٢٥.
(٢) ابن هشام ١/ ٤٢٦.

تُبينُ لك العَيْنان ما هو كاتمٌ من الغلّ والبغضاء بالنَّظَر الشَّزْرِ
فَرِشْني بخيرٍ طالما قدْ بَرَيْتَني وخيرُ الموالي مَنْ يَرِيش ولا يَبْري

حدِيْثُ يَوْمِ بُعاث[1]

قال يونس، عن ابن إسحاق[2] : حدثني الحُصَيْن بن عبدالرحمن ابن سعد بن مُعاذ، عن محمود بن لَبِيد، قال: لما قدِم أبو الحَيْسَر أَنَسُ ابنُ رافع مكةَ ومعه فِتْيةٌ من بني عبدالأشهل، فيهم إياس بن مُعَاذ، يلتمسون الحلْفَ من قريش على قومهم من الخزرج، سمع بهم رسولُ الله ﷺ فأتاهم فقال لهم: هل لكم إلى خيرٍ ممّا جئتم له؟ قالوا: وما ذاك؟ قال: أنا رسول الله بعثني الله إلى العباد، ثم ذكر لهم الإسلام، وتلا عليهم القرآن، فقال إياس، وكان غلاماً حَدَثاً: يا قوم هذا والله خير ممّا جئتم له. فيأخذ أبو الحَيْسَر حفنةً من الحَصْباء[3] ، فضربَ[4] بها وجهَ إياس، وقال: دعنا منك، فَلَعَمْرِي لقد جئنا لغير هذا. فسكت، وقام النبي ﷺ عنهم وانصرفوا إلى المدينة، وكانت وقعة بُعاثٍ بين الأوْس والخزرج، ثم لم يلبث إياس بن مُعاذ أنْ هَلَك. قال محمود بن لَبِيد: فأخبرني مَن حضره من قومي أنّهم لم يزالوا يسمعونه يهلِّل الله ويكبِّره ويُحَمِّدُه ويسبّحه حتى مات، وكانوا لا يشكُّون أنّه مات مسلماً. وقد كان استشعرَ من الإسلامِ في ذلك المجلس، حين سمعَ من رسولِ الله ﷺ ما سمع.

---

(١) بعاث: موضع قرب المدينة على بعد ليلتين، وفيه كانت حرب بين الأوس والخزرج.

(٢) ابن هشام ١/ ٤٢٧-٤٢٨.

(٣) كتب المؤلف بخطه على هامش الأصل: «خ البطحاء» أي: في نسخة أخرى كذلك.

(٤) كتب المؤلف بخطه على هامش الأصل: «فيضرب».

وقال هشام بن عُرْوَة، عن أبيه، عن عائشة، قالت: كان يوم بُعاث يوماً قدّمه الله لرسوله، فقدِم رسولُ الله ﷺ المدينةَ، وقد افترق مَلَؤُهم وقُتِلت سرواتهم ـ يعني: وجُرِحوا ـ قَدَّمه اللهُ لرسولِه في دخولهم في الإسلام. أخرجه البخاري[1].

(١) البخاري ٥/٣٨.